عبادة الله والنِعمة

يُعلِّمُنا الثالوث الأقدَسُ الإلهُ الواحد أنَّ كلاً من السماء والمطهَر وجَهنَّم حقيقةٌ ثابتةٌ.

أحبَّائي، **يدعو الرسول بولس الَّذين يلبسون** درع الإيمان لاستقامة عقولهم ودرع المحبَّة لتصويب إرادة قلوبهم، **ويضعون** خوذة رجاء الخلاص لحصانة ذاكرتهم، **بأنَّهم أبناءَ النور الإلهيِّ والحُبِّ الإلهيِّ،** الَّذين يُحرِزون الخلاص بالرَبِّ يسوع المسيح الفادي. **لذلك، يُناشدُهم بأن يصحوا** على الإيمان الصحيح والحُبِّ الطاهر السامي والرجاء الخلاصيِّ، رافضين كلَّ البدع والهراطقة وأصحاب الأفكار التطوُّريَّة الَّذين يَنقُضُون ما بناه المسيح ورُسلَه الأطهار لخلاص النفوس. **فأبناء النور والحُبِّ الإلهيِّ هم** أبناءُ الله الآبِ بنعمةِ وسرِّ يسوع المسيح الفادي وبقوَّة الروح القُدُس وحلوله. **لأنَّ أبناءَ الظُلمة هم أبناءُ الانحرافات** الجسديَّة والإيمانيَّة على السواء، أي أبناء الخطيئة والموت المُهلِك وإبليس. **من هنا، يرمزُ الرَجُل الغنيُّ إلى أبناء الظلمة** لكثرةِ تَنعُّمِه باللباس الغالي والمآكل والمشارب الفاخرة، أسير الجشع والشراهة والسكر والكبرياء والظلم والعربدة... **فلم يَترُك ملَذَّةً دنيويَّةً إلاَّ وتلذَّذ بها ضاربًا ضرب الحائط مشيئة الله** الآب ورجاء الخلاص بالمسيح المُخلِّص الموعود وعمل الروح القُدُس المُحيي. وهكذا، لم يكتَفِ بالتَلَذُّذ بأمور الأرض، بل **رفض المُحتاجين وفَقَدَ** المحبَّة والرحمة في داخله واسترسل في الطريق الواسع والرَحب المؤدِّي إلى العذاب الأبديِّ في نار جهَنَّم الأبديَّة. فلو كان مؤمنًا بالله المحبَّة والرحمة لكان مُحبًّا ورحومًا.

أحبَّائي، من ناحيةٍ ثانية، **لعازر المسكين والمسحوق والمغمور بالحُبِّ الإلهيِّ** والمُتوجِّع في قلبه المُخترَق بسهام حُبِّ الثالوث الأقدَس، **يرمزُ إلى أبناء النور المَوعودين بالرحمة الإلهيَّة** وبالنَعيم الأبديِّ، ليغدوا جميعهم من أبناء القيامة. **فلعازر** المائت عن هذا العالَم الزائل، **صعِدَتْ نفسُه لحظة مماتِه إلى حضن إبراهيم،** أي إلى **حضنِ الآبِ السماويِّ، قائمًا من الموتِ مع المسيح المُنتَصِر بقوَّة الروح القُدُس.** وهكذا، **يكونُ لعازر قد حقَّقَ مشيئة الآبِ السماويِّ** في حياته على الأرض، إذ **حمِلَ صليبَ الألَم** النَفسيِّ والجسديِّ والإهانة والاستعباد والظلم والتَهَكُّم والسخرية والتهميش والرَفض والنَبذ والاضطهاد، وهو يتوجَّعُ من جراحات سهامِ الحُبِّ الإلهيِّ في قلبِه الَّتي تُبلسِمُ جراح آلام هذا الصليب الَّذي يحملُه **بقيادة الروُح القُدُس. فأضحَت آلامُ الصليب في قلب لعازر طيِّبةً** رقيقةً عذبةً بدواء الحُبِّ الإلهيِّ الَّذي انسكَبَ عليها. **لذلك، نسيَ لعازر** آلامَ قروح جسدِه الَّتي كانت تأتي الكلابُ فتلحسَها وتُخَفِّف من وَطأتها، لأنَّه كان يتقدَّمُ تقدُّمًا متتاليًا في حُبِّ الله ويغتني بهذا الحُبِّ الإلهيِّ الَّذي سيتَّحِدُ به نهائيًّا عند الممات. **لقد حمل لعازر هذا الصليب، مُتشبِّهًا بحبيب نفسه يسوع المسيح،** بإيمانٍ ورجاءٍ ومحبَّة وتواضُع وطاعة وأمانةٍ لعهد الخلاص بالمسيح يسوع إلهنا مُستلهمًا الروحَ القُدُس بشكلٍ دائم.

أحبَّائي، **تُعلِّمُنا الكنيسةُ المُقدَّسةُ أنَّه يُوجَدُ عذابٌ أبديٌّ في جهنَّم الأبديَّة ويُوجَدُ فرحٌ أبديٌّ في السماء الأبديَّة** لله الخالِق المُثلَّث الأقانيم. **وتُعلِّمُنا** من خلال إنجيل لعازر المُنتَصِر بآلامِه والغنيّ الهالِك بملذَّاته **أنَّه يُوجَدُ "هُوَّةٌ عظيمةٌ ثابتةٌ"** (لو16: 26) أي مطهرٌ للنفوس الخاطئة ولكن المؤمنة، لتتطهَّر ثمَّ ترتفع إلى فرح السماء الأبديِّ. **ويَكشِفُ هذا النَصُّ عن جوهر الثالوثِ الأقدَس،** فإبراهيم يُمثِّلُ الله الآبَ

حاضِن المؤمنين ومُحِبَّ البشر، ولعازر بتضحيته وبآلامِه النفسيَّة والجسديَّة وبارتفاعه إلى حضن الآب يُمثِّل المسيح المُتألِّم الفادي والمُنتَصِر، والتعزيات الَّتي حصل عليها لعازر كانت من الروح القُدُس المعزِّي والمُحيي. ولكن **إبراهيم الَّذي يُمثِّل الآبَ السماويَّ أكَّدَ وثبَّت بكلامه** غير القابل للجَدَل والمُماحكات والمُراوَغة، ولا للنَقضِ والإبطال والتحوير والتطوُّر المُخادِع، **أنَّ الهُوَّة الَّتي تفصل بين السماء وجهنَّم هي عظيمة**، أي لا يُمكنُ تدميرها بكلامٍ فارغ وعواطِف مُهتَرِئة ونوايا خبيثة. **كذلك هي ثابتةٌ**، أي لا تتزعزع ولا تتبدَّل ولا تُزَحزَح من مكانها ولا تتغيَّر وظيفتُها وحالَتُها ونتائجها. **نقول هذه الحقيقة لأنَّ اللهَ المُثلَّث الأقانيم خلقَ هذه الهوَّة المَطهريَّة لتفصلَ بين الخالدين والهالكين**، وتكون ممرَ رحمةٍ للأنفُس الَّتي تؤمن بالله وإنجيله وبالكنيسة المُقدَّسة وتعليمها الصحيح. وللتوضيح، إنَّ ما تحملُه هذه الأنفس المؤمنة والخاطئة في آنٍ معًا من خطايا، لا يُمكِّنُها من أن تُعاين الله وتتَّحِد بحُبِّه الإلهيِّ الطاهر إلاَّ بعد أن تتطهَّر من خطاياها في هذه الهُوَّة المطهريَّة العظيمة الثابتة. وهذه الهوَّةُ المَطهريَّةُ لها بابُ دخولٍ واحدٍ من الأرضِ فقط، ولها بابُ خروجٍ واحدٍ إلى السماءِ فقط.

أحبَّائي، **تعقيبًا على ذلك، يُعلِّمُنا السنكسار الماروني** أنَّ الكنيسة المُجاهدة على الأرض، "تَرفعُ الصلواتِ من أجلِ النُفوسِ الَّتي لا تزالُ تتألَّم (في المَطهَر) بانتظارِ الملكوت. وإنَّهُ لواجِبٌ علينا أن نُسعِفَ إخوَتَنا بالصلواتِ وتقدِمةِ الذبيحةِ الإلهيَّةِ من أجلِ خلاصِهم. وبما أنَّهُم مَدعُوُّونَ إلى الملكوتِ، لكنَّهُم لا يَزالونَ محرومينَ منه، فإنَّ شفاعةَ الكنيسةِ الظافرة (في السماء) وصلواتِ الكنيسةِ المُجاهِدةِ (على الأرض) تُخَفِّفُ من آلامهم وتُقَرِّبُ يَومَ سعادَتِهم" (صلاة المؤمن، ص 731–732). وإنِّي أؤمنُ بأنَّ كنيستنا المارونيَّة لم تُعلِّمنا شيئًا كاذبًا منذ نشأتها لأنَّها ككنيسة فريدة هي "طفلةُ المسيح المُفضَّلَة"! فيا للعَجَب! لقد تعطَّلَت ليلةَ الأمس خدمةُ ال"واتس أبّ" لساعاتٍ فضجَّتِ المنطقة كلُّها، فلماذا نبقى صامتين خجولين لدى سماعنا أحد الضالِّين يقول لنا على سبيل المثال: "لا يوجَد مطهرٌ"؟

وهكذا، **يَتبيَّنُ أنَّ الله في أقانيمه الثلاثة**، الآب والابن والرُوح القُدُس، **يُعلِّمُنا** من خلال هذا النَصِّ الإنجيليِّ حقيقةَ وُجُوده وتدبيرِه الخلاصيِّ، للإيمان به والتبشير به وبتعليمه. **فهو ثالوثٌ قدُّوسٌ خالِقٌ رحومٌ وفاديٌ مُنتَصرٌ وروحٌ مُحييٌ. وهذا ما علَّمنا إيَّاه** أوَّلُ بطريركٍ لكنيستنا المارونيَّة، **مار يوحنَّا مارون، إذ نجِدُ في أيقونته أنَّه أبٌ شاخصٌ بكيانه وبسلطان الكهنوت المُقدَّس إلى الآبِ السماويِّ** يستمدُّ منه التعليم المسيحيَّ القويم لتحقيق رسالة الخلاص، فيُعلِّمُها لشعبه، **والروحُ القُدُسُ يُؤيِّدُهُ** بحلولِه على تاجِ سُلطانِه ويُلهمه إعلان الإيمان الحقِّ بشجاعةٍ وثبات، **وصليبُ المسيح بيدِه اليُمنى يُجاهدُ بقوَّته الظافرة وأيضًا على صدره** يحرسُه وينصُرُه. **فهذا البطريرك الأوَّل الَّذي يَشهَدُ للثالوثِ الأقدَس في أيقونَتِه، يقِفُ أيضًا كالملِكِ القدير** فوق كتاب الشعوذة الجَهَنَميِّ، وبيدِه اليُسرى الَّتي يمسِكُ بها عصا الرعاية يسحقُ رأس الحيَّة القديمة بأسفلِ العصا **رمزًا لجهنَّم الأبديَّة. من ناحيةٍ ثانية، إنَّه يرتَدي لباس** الكهنوت المُقدَّس وتاجَ المُلوكيَّة ولون الأُلوهيَّة الذهبيّ **رمزًا للسماء الخالِدة. وأخيرًا، لأنَّه لا يُوجَدُ إنسانٌ بلا خطيئةٍ إلاَّ إلهنا يسوع المسيح** وبإنعامٍ من الثالوث الأقدَس **مريم البتول** البريئة من الدَنَس، **وبكونِ مار يوحنَّا مارون إنسانًا** خاضعًا للخطيئة ككلِّ أبناء آدَم، فهو بضَعفِه البشريِّ يُمثِّلُ النُفوسَ الَّتي تمرُّ

بالمَطهَر في حال الخطيئة لتطهُرَ قبل ولوجِها السماء. **لذا، إنَّه بجسدِه الشاخِصِ إلى** الآب (السماء) **والساحِقِ** الشَرَّ تحت قدَميه وتحت عصاه (جَهنَّم)، **يفصِلُ بين السماء وجَهنَّم، أي يُمثِّل عبورَ** المؤمنين إلى السماء عبر الهوَّة المطهريَّة العظيمة الثابتة. **وهكذا، تكشفُ لنا أيقونةَ مار يوحنَّا مارون عن** عقيدة الثالوث الأقدَس وعقائد وجود السماء والمطهَر وجَهنَّم.

أحبَّائي، **هذه هي الكنيسةُ المارونيَّة منذ البدء،** صادقة في إيمانها، شفَّافة وحازمةٌ في تعليمها، أمينةٌ لمُعلِّمها وعريسها المسيح الرَبّ، طاهرة في عيشها وعلاقاتها مع الآخَرين، وضيعة في أدائها وتصرُّفاتها، طفلةٌ صغيرةٌ أمام خالِقها وعريسها السماويِّ! **فلماذا ما زال بعض الموارنة مُحتارون** في أمرهم وقلقون في نفسهم، وكلَّما أتاهم أحدٌ يُمثِّل أعداء الكنيسة والبِدَع المُهلِكة وتلَفَّظَ بكلمةٍ خدَّاعة يتزعزعون وينهارون؟ **أَلَيسَ لأنَّنا ما زلنا مثل الغنيِّ** مشدودينَ إلى ملذَّات وشهوات هذه الأرض؟ أَلَيسَ لأنَّنا لا نريد أن نُرضي الله، بل أهواءنا وأفكارَنا الخاصَّة؟ **أَلَيسَ لأنَّنا ما زلنا نخاف مُواجَهة الباطل بإعلان الحقِّ؟** حان الوقت **لنكون أبطالاً في قول الحقيقةِ بلا خوفٍ ولا وَجَل، ولكن** بمحبَّةِ المسيح وتأنِّي ومخافة الله الآب وحكمة وعِلم الروح القُدُس وصمتِ يوسف ومريم وجهادِ القدِّيسين.

أحبَّائي، "اللهُ طريقُهُ كاملٌ وقَولُ الرَبِّ نَقيٌّ. هو مِجَنٌّ لجميعِ المُعتَصمينَ به. لأنَّهُ مَنْ إلهٌ غيرَ الرَبِّ ومَنْ صخرةٌ سوى إلهنا" (مز 17: 31–32). لنرفع، بشفاعة والدة الإله مريم البتول ومار يوحنَّا مارون، المجدَ للثالوث الأقدَس، إلى الأبد. آمين. (كتبتُ بنعمة الله هذه القصيدة يوم الأربعاء 19 شباط 2014، مُعتبرًا النفس البشريَّة العاشقة المسيح والكنيسة المارونيَّة الفريدة بين الكنائس بأنَّهُما يُمثِّلان "طفلة المسيح الصغيرة". فأتى عنوان القصيدة: "طفلتي الصغيرة"):

أيا طفلتي، يا صغيره! أيا وَعْدَ حُبٍّ، مُنيره!
على قلبي تَملُكينَ أبدًا، بشخصِ الأميره.

لأجل انتصارِ المحبَّه، أراكِ الهوى في الحظيره.
فلا مُستحيلٌ لَدَيَّ، ولا بُخلٌ يا نظيره.

بيومٍ عظيمٍ صُلِبْتُ، ليحيا رجاءُ النصيره.
ليغدو انتصاري إلهًا، بهيًّا برَغْدِ السفيره.

أجابَتْ بعُشقٍ: أراكَ، حبيبي، مسيحًا قديرا.
رجائي اعتلانُ الحُبِّ قلوبًا، وجمعًا غفيرا.

فأسرِعْ بعونِ الحنان عشيقًا، خليلاً، أميرا.
فؤادي يُنادي سماكَ، أنا طفلتُكَ الصغيره.